

خميسات اللهجات: الحسانية

الكاتب



عبد اللطيف الزبيدي

عبد اللطيف الزبيدي

هل انتفى السؤال: لماذا يتكلم البلد الفلاني لهجته المميّزة؟ ها هي اللهجة الحسانية تخرجنا من خرائط البلدان. نحن الآن في موريتانيا، الصحراء الغربية، جنوب المغرب، الصحراء الجزائرية، بعض مناطق السنغال، أقصى شمال مالي، وأجزاء من النيجر. لكننا أيضاً في ليبيا وجنوب تونس، وفي تداخل ملحوظ مع الأمازيغية، وفي تلاقٍ مشهود مع اللهجات الخليجية: «اشطاريكم؟»، «ما جديكم؟» «اشحالكم»؟

قبائل «بني حسان» سيطروا على كل تلك الجغرافيا الشاسعة بين القرنين الخامس عشر والسابع عشر الميلاديين، نفوذاً وتمدداً، وحضورهم الاجتماعي ولهجتهم إلى يومنا هذا باقيان. لهم تقارضات مع قبائل الطوارق، فللصحراء والبدواة تأثير وتأثير وأخذ وعطاء. مميّزات مخارج الأصوات والنبرة تعدّ من أهمّ العناصر ذات الدلالات على الأصول. تبقى هذه البصمات فاعلة جليّة على مرّ القرون. في الحسانية تُنطق القاف جيماً مصريّة، ما عدا حالات مثل قاف القرآن. الغين تصبح أحياناً قافاً فالمقرب تعني المغرب. هذا كثير في البلدان الخليجية «القرب» بدلاً من الغرب. والديمقراطية في السودان تصير الديمقراطية. بالمناسبة: في الفارسية قبل الإسلام لا وجود للقاف، والإيرانيون ينطقونها غيناً. قيل لإيراني: «أصبح أنكم تنطقون القاف غيناً؟» قال: «من غال هازا (هذا)؟ السين تلفظ صاداً في أحيان كثيرة: «يصوق»، يسوق. «يصرق»، يسرق. الضاد تلفظ مثل الظاء: «أبيض»، أبيض.

إذا قطعت الطريق ماراً من ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب إلى موريتانيا وبلغت ديار اللهجة الحسانية، فكأنك رجعت إلى المربع الأول. إذا كان المسافر من الجزيرة العربية، فإنه سيشعر بأن اللهجة تزداد «صعوبة وتعقيداً» في سمعه، تدريجاً من تونس إلى الجزائر فالمغرب. السبب هو أن اللغة الأمازيغية انخفض تأثيرها في تونس. تفسير القلم هو أن شرق تونس ليس فيه جبال، والأمازيغ يحبون الجبال كالأكراد. أمازيغ معناها جبليّ. في الجزائر ظلت مؤثراتها أقوى، إلا أن نسبة العرب تفوق عدد الأمازيغيين، بينما في المغرب هم الأغلبية، وإن صدقت المعلومة، فإن 80% من أهل المغرب

يتحدثون أمازيغيّات مختلفة. من الخبث الغبيّ لدى بعض الباحثين الغربيين إرجاع الأمازيغيّة إلى اللغات الأوروبية، الفاندال بالذات، بدعوى أن هؤلاء الهمجيّين غزوا الشمال الإفريقيّ. أمّا علماء السلالات (الإثنولوجيا) الذين يعيدون الأمازيغيّين إلى الكنعانيين، فالقلم يترك هذا لأهل الاختصاص، لا يثبت ولا ينفي. العلاقة باللغات الساميّة، في الجذور البعيدة، تشير إلى علاقات صوتيّة وجرسيّة. إثباتها أعسر من الصلة بين اللغة المغولية (أفلام كثيرة على اليوتيوب) واللسان التركيّ، الأصل البعيد واحد.

أطرف ما في الحسانيّة الشهور الهجرية عندهم: عاشوراء (محرم)، التبيع (صفر)، المولود، البيض الأول. البيض الثاني. البيض الثالث. القصير الأول. القصير الثاني. رمضان. الفطر الأول. الفطر الثاني. العيد.

لزوم ما يلزم: النتيجة الحسانيّة: اطلبوا الفصاحة ولو في مالي والنيجر

abuzzabaed@gmail.com

"حقوق النشر محفوظة" لصحيفة الخليج. © 2024